تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الأوقات كلها إلا وقت المخافة فإن إظهار الموالاة
حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير فلا تتعرضوا
لسخطه بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم أن المحذر منه عقاب
يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله أي أنه يعلم ضمائركم
من ولاية الكفار وغيرها إن تخفوها أو تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الأرض فيعلم سركم وعلنكم والله على
كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم إن لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكأنه قال ويحذركم نفسه لأنها
متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها فلا تجسروا على عصيانه إذ ما
معصية إلا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يوم منصوب بتود أي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها أو جزاء أعمالها
من الخير والشر حاضرة لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أو بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت أو
خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح
أن تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر أوقع معنى لأنه حكاية كائن وأوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه
كرر للتوكيد والتذكير والله رؤوف بالعباد إشارة إلى أنه تعالى إنما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم أو أنه
لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس إلى الشيء
لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله تعالى وأن كل ما يراه كمالا من نفسه
أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه
فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للأمر أي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب
عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب إليه
بطاعته واتباع نبيه روي أنها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا إنا
نعبد المسيح حبا لله وقيل في أقوام زعموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله تعالى فأمروا أن يجعلوا لقولهم تصديقا
من العمل قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فإن تتولوا فإن الله لا يحب الكافرين لا يرضى
عنهم ولا يثني عليهم وإنما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على أن التولي كفر وأنه من هذه الحيثية ينفي محبة وأن محبته
مخصوصة بالمؤمنين إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية
والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما أوجب طاعة الرسول وبين أنها الجالبة لمحبة الله تعالى عقب ذلك ببيان
مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل إبراهيم إسمعيل وإسحق وأولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى
الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب وعيسى وأمه مريم بنت

عمران

عمران بن ماثان بن لعازر بن أبيثور بن زربابل بن شالتان بن يوحنا بن أوشا بن أموز بن ميشكي بن حازقا بن أحاز
بن يوثام بن عزريا بن يوزام بن ساقط بن ايشى بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عوبد بن سلمون
بن باعز بن نحشون بن عميادب بن رام بن حصروم بن فارض بن يهوذ بن يعقوب وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة
سنة ذرية بعضها من بعض حال أو بدل من الآلين أو منهما ومن نوح أي أنهم ذرية واحدة متشعبة
بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر أو فعولة
من الذرء أبدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم بأقوال الناس وأعمالهم فيصطفي
من كان مستقيم القول والعمل أو سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت
لك ما في بطني فينتصب به إذ وقيل نصبه بإضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران
ابن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من هرون فظن أنه المراد وحده ويرده كفالة زكريا فإنه كان معاصرا لابن ماثان
وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الأب روي أنها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة
إذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت إلى الولد وتمنته فقالت اللهم إن لك علي نذرا إن رزقتني ولدا أن أتصدق به
على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت مريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فلعلها
بنت الأمر على التقدير أو طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا أشغله بشيء أو مخلصا للعبادة ونصبه على الحال
فتقبل مني ما نذرته إنك أنت السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى
الضمير لما في بطني وتأنيثه لأنه كان أنثى وجاز انتصاب أنثى حالا عنه لأن تأنيثها علم منه فإن الحال وصاحبها بالذات
واحد أو على تأويل مؤنث كالنفس والجبلة وإنما قالته تحسرا وتحزنا إلى ربها لأنها كانت ترجو أن تلد ذكرا ولذلك
نذرت تحريره والله أعلم بما وضعت أي بالشيء الذي وضعت وهو استئناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا
لها بشأنها وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على أنه من كلامها تسلية لنفسها أي ولعل لله فيه سرا
أو الأنثى كان خيرا وقرئ وضعت على أنه خطاب الله تعالى لها وليس الذكر كالأنثى بيان لقوله والله أعلم أي
وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز أن يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والأنثى
سيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس وإني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وإنما
ذكرت ذلك لربها تقربا إليه وطلبا لأن يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فإن مريم في لغتهم بمعنى
العابدة وفيه دليل على أن الاسم والمسمى والتسمية أمور متغايرة وإني أعيذها بك وذريتها
من الشيطان الرجيم المطرود وأصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد إلا والشيطان
يمسه حين يولد فيستهل من مسه إلا مريم وابنها ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه
إلا مريم وابنها فإن الله تعالى عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول
حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو إقامتها مقام الذكر وتسلمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة

Copyright © King ... University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)